

## الاسطورة في عبقر شفيق المعلوف

عام ١٩٤٩ بعد أن أضاف إليه ستة أناشيد أخرى (٥) . يقول المعلوف في مقدمة النشيد الاول : « زعموا أن عبقر موضع مجهول هو أرض الجن . ورووا أن لكل شاعر شيطانا يوحى اليه الشعر » (٦) . ويستهل الشاعر القصيدة برؤيا يتجلى له فيها شيطان شعره ويحمله ويطير به الى وادي عبقر حيث يلتقي الجن والشياطين التي اختارت عبقر مسكنا لها . وليست هذه الرحلة الى عالم الغيب جديدة في الادب العربي . فقد رحل أبو العلاء المعري الى الجنة والنار ، والتقى الشعراء وحادثهم في « رسالة الغفران » . والتقى ابن شهيد الاندلسي تابعه الجن في « رسالة التوابع والزوابع » فحمله الى أرض الجن حيث حدث توابع الشعراء من الجنيين . ولعل المعلوف كان اقرب الى ابن شهيد منه الى أبي العلاء في قصيدته هذه . ف « رسالة التوابع والزوابع » تقوم على الافتراض ان لكل شاعر جنيا يوحى اليه قصائده ، وهذا ما يفترضه شفيق المعلوف في « عبقر » (٧) .

كانت العودة الى الاساطير القديمة احدى السمات التي تميز بها الشعر الحديث . وكان الشعراء والفلاسفة الرومنطقيون الاثان ، وبخاصة شلنغ وشليغل وهررد من اول من دعا الى استخدام الاسطورة في الشعر في مطلع القرن التاسع عشر . فقال شلنغ ان الاسطورة موضوع الفن كما ان الافكار موضوع الفلسفة . وعرف شلنغ الاسطورة بالرمز فقال انها ليست قصة تروي حكايات الالهة ، بل الصورة العينية المطلقة ، اذ تحمل معنى بذاتها وتظل نمطا رمزيا ازلما (١) . وعرف شليغل الاسطورة بانها نظرة جديدة الى الحياة ترفض التفكير المنطقي وتعود الى « فوضى الخيال الجميلة ، السديمية الاولى في الطبيعة الانسانية ، التي لا اعرف لها بعد رمزا اكثر جمالا من تجمع الالهة القديمة » (٢) . كما اشار هررد الى طريقة استخدام الاسطورة في الشعر فقال : ان على الاسطورة ان ترتبط عضوا بالقصيدة ليس على سبيل جهد واع لملء فراغ . لان الاسطورة في الشعر ليست مجرد بناء قصصي ، بل هي حياة القصيدة (٣) .

(٥) الاناشيد المضافة الى الطبعة الثانية هي : نهر الفي ، وادي سجين ، الهوجل والهوير ، حلم هراء ، العنقاء ، احاديث خرافة ، عبقر ، حاشية ص : ١١ ، والطبعة الثانية من منشورات العصبة الاندلسية في سان باولو ، البرازيل . وهي التي ساستخدمها في هذا البحث . وتقع في ٢٤٢ صفحة من القطع الكبير تحتل المقدمة « تمهيد في علم الاساطير » الصفحات المائة والاربعين الاولى منها . وتنتهي المطولة الشعرية باناشيدها الاثني عشر في صفحة ٢٢١ . وقد كرس الشاعر الصفحات الاخيرة من الكتاب للفهارس .

كان ما وصلنا من الشعر العربي القديم خلوا من الاسطورة من حيث هي قصة ، ولم ترد فيه - بشكل عام - اسماء شخصيات اسطورية ، مع ان العرب عرفوا الاساطير في جاهليتهم ، كما يتبين من « كتاب الاصنام » لابن الكلبي ، ومن الشعائر التي احاطت بمراسم الحج الجاهلية كما يرونها ابن حبيب في « المحبر » . ولكن الشاعر العربي الحديث عاد الى الاسطورة كما عاد اليها جزء كبير من الشعر العالمي الحديث . ولعل شفيق المعلوف (٤) كان من اوائل من استخدم الاسطورة في شعرنا الحديث في مطولته « عبقر » .

(٦) عبقر ، ص : ١٤٤ .  
(٧) يقول ابن شهيد في « رسالة التوابع والزوابع » ( بيروت ، ١٩٦٧ ) : « فقال ( زهير بن نمير الجنّي تابع ابن شهيد ) حلّ على من الجواد . فعرضنا عليه ، وسار بنا كالمطائر يجتاب الجو فالجو ، ويقطع الدو فالدو ، حتى التمحت ارضا لا كارضنا ، وشارفت جوا لا كجونا ، متفرع الشجر ، عطر الزهر ، فقال لي : حلت أرض الجن ابا عامر ... فامال الضان الى واد من الاودية ذي دوح تنكسر اشجاره وتترنم اطياره » ( ص : ٩١ ) . ويصف المعلوف انطلاق الشيطان به الى وادي عبقر ( ص : ١٥٣ - ١٥٤ ) بقوله :

عاد شفيق المعلوف الى الاساطير العربية القديمة ، وكتب بحثا حاول ان يؤكد فيه ان العرب عرفوا الاساطير في جاهليتهم معتمدا على بعض الكتب العربية القديمة وعلى عدد من البحوث الاجنبية التي توفرت له في مهجره . ونظم المعلوف ما توفّر له من قصص اسطوري ونشرها في ستة أناشيد عام ١٩٢٦ بعنوان « عبقر » . ثم اعاد نشر الكتاب

(١) René Wellek , A History of Modern Criticism : ( ١ ) 1750 - 1950 ( New Haven , 1955 ) , V.II, P. 77.

ibid . pp . 16 - 17 .

(٢) Philip Wheelwright , « Myth » , Encyclopaedia of Poetry and Poetics ( New Jersey , 1965 ] , P. 541 .

(٣) « من مواليد زحلة سنة ١٩٠٥ . حرر في جريدة « ألف باء » مدة ثلاث سنوات . هاجر الى البرازيل سنة ١٩٢٦ ، وما زال في المهجر . ترأس « العصبة الاندلسية » في سان باولو . عن رياض معلوف « شعراء المألفة » ( بيروت ، ١٩٦٢ ) ص : ٢٤ .

وانطلق الشيطان في الجو بي  
كانه النيزك او اسرع  
مكنت من فقاره قبضتي  
منذما اصنع ما يصنع  
حتى تهوى بي الى موضع  
ما راقتني من قبله موضع  
غمائم زرق على منتهى  
منازل جدرانها تسطع  
تدور في ابراجها ضجة  
بها يصيق الافق الاوسع

روحي لا يبلى فمن يرتقيسه  
احملها في جسمه من شجن  
وشاحي الناري من يشترسه  
فانني ابيمه بالكفى . . . (11)

فالشاعر هنا يقابل بين صدين لا يجتمعان : الخلود الروحاني  
واللذة الجسدية الانية . لن يجمع كائن الاثنين : فالانسان الذي نال  
الجسد للناذة فقد الخلود ، الجنية التي اكتسبت الخلود حرمت اللذة  
الجسدية . وكلاهما ناقم يرفض نصيبه ويتمنى ما ليس له . فالانسان  
يسعى الى الخلود والجنية تمنع خلودها وتتمنى اللذة الجسدية  
بكل ما فيها من الم وما يتلوها من موت وفناء . فالمأساة ليست في  
افتقاد اللذة او انتهاء الحياة بل في السعي وراء ما لا يدرك والافتتان  
برجاء لا ينال . وحين يصبح الحال هدفا تتكشف المأساة .

وفي النشيد الرابع : « نهر الفي » يلتقي الشاعر سرحوب  
الاعمى وهو شيطان يسكن الأنهر والبحار ، فيقوده في سرداب عميق  
كثير الشعاب ، فيبرز الملوغ المفارقة : اعمى يقود بصيرا . ويسخر  
سرحوب من البشر المبصرين فيخاطبهم قائلا :

ما كنتم تحبطون  
في لجة الآلام  
لو انكم تبصرون  
مثلي في الظلام (12)

وكان شفيق الملوغ يضع هذا النشيد بأكمله كي يصل الى هذه  
الحكمة التي ينتهي بها النشيد ، وهي ان الانسان اعمى ولو كان  
مبصرا ، لانه لا يفرق بين الخير والشر .

وفي النشيد الخامس : « وادي سجين » (13) يذهب الشاعر الى  
واد من اودية عبقر ويلتقي ابنا ابليس الخمسة (14) . ينفجر اولا  
بركان وتعتري الظلمة ويظهر ثور شيطان الحروب ، يتمايل مخمورا ،  
ويقهقه منتصرا كلمسا اشتعلت الحروب وتقاتل ابنا البشر . يقول :

طفى بني الوجود  
وخطف الصدود  
فانشا الاوطان  
ساجها النيران  
حتى اذا ما الجنود  
اتوا فسدى الرايات  
داس بقايا البنود  
وظاف بالاموات  
فاتنزع القيود  
من ارجل العبدان  
ولفها تيجان  
على رؤوس الفزاة (15)

هنا يعد شفيق الملوغ تقسيم الارض الواحدة ، بالحدود ،  
الى اوطان - عملا شيطانيا ، لانه علة جميع الحروب . فالارض ، لو  
كان الخير مسيطرا ، وحدة لا تتجزأ ، وليست الحدود بين بقعة  
واخرى سوى افتعال خارجي شرير ، وليس طبيعة نابعة من تركيب  
الانسان او الارض . فيخرج الملوغ الى نظرة انسانية شاملة ، تلمح  
الاختلافات القومية والعرقية وتأخذ بوحدة الطبيعة الانسانية . وهذه

(11) م . ن . ص : 178 .

(12) م . ن . ص : 185 .

(13) يقول الملوغ في مقدمة النشيد « ان سجين واد في جهنم  
قيل هو محل ابليس وجنوده » .

(14) ويقول في مقدمة هذا النشيد ايضا « كان لابليس خمسة  
ابناء هم ثور وداسم واعور وذلنور ومسوط » .

(15) م . ن . ص : 193 .

وكتاب « عبقر » قصيدة واحدة طويلة في أناشيد . يستهل  
الشاعر قصيدته بنشيد اول : « في طريق عبقر » ، حيث يظهر له  
شيطان شعره ويحملة طائرا به الى وادي عبقر . ويصف ارض الجن  
بشياطينها وتماميتها وغيلانها . ويظوف الشاعر يقوده شيطانه في  
مجاهل الوادي ويستطلع احوال الجن :

اقزام جن في سفوح الربى جيشهم طائفة هات  
ان ازعجوا الزحف تراهم علوا اغرب اصناف الطييات  
فمن يرايبس ومن انعم السى ديسوك وعظايات  
مراكب للجن يرمي بها فرسانها صدر المفازات  
من كل قزم لا يمس الثرى برجله الصفري المدلاة  
نشابة القنفذ وزرافه وترسه قحف السلحفاة (A)  
في هذه الابيات يخلق شفيق الملوغ عالما غريبا يتعد فيه عن  
الصور المألوفة في الحياة اليومية ، فلا يعود الشعر محاكاة لصور  
كائنة ، بل يفصح خلقا لعالم لم تره عين من قبل ، ولده خيال  
الشاعر . فالملوغ يجسد الجن فيمسخها اقزاما . فان ارادت حربا  
فهي تتخذ الفران والسحالي والديوك مطية ، ويرش القنفذ رمحا ،  
وقحف السلحفاة ترسا . فتكون الصورة الاولى التي يقدمها شفيق  
الملوغ للجن صورة مسوخة هزلية .

وفي النشيد الثاني : « الاله الناقص » يلتقي الشاعر عرفافة عبقر ،  
وهي عجوز شماء تلف ثيابا على وسطها وينبعث الدخان من شعرها  
ويلتهب الشرر في عينيها . فتتنفض غضبا حين تراه ، وتهرب الجن  
وتختبئ بين اغصان الشجر . وتتحدث العرافة فتحقر الانسان وتقول  
انها تخاف على الثعبان من غدر البشر :

فليس هذا الصل بالافعوان  
بل انت يا انسان  
فارجع الى وركك (9) .

وتقول ان الانسان ظن نفسه اعلى من ربه ، وحسب عيوبه  
فضائل ، فبقي على ضلاله واصبح حب الذات اساس كل عيوبه :

جعلت نفسك اعلى  
في الارض من ربك  
وخلت دربك سهلا  
فسر على دربك  
حسبت عيبك فضلا  
يا صل ويحك هلا  
خرجت ممن ثوبك (10)

فالشاعر لا يقدم في هذا النشيد سوى حكم ذهنية مجردة لا يبلغ  
فيها صفاء التصوير الشعري . كان الملوغ يسعى الى ابلاغ قارئه  
ان الجن تخاف الانسان فيمكس الراي الشائع ان البشر يخافون الجن .  
ويؤكد نظرتهم في ان الانسان شرير اصلا . فلا يقدم هذه الفكرة  
مجسدة بالصورة والحدث ، بل يأتي بها حديثا مجردا تقوله العرافة .  
ويتحدث شفيق الملوغ في النشيد الثالث : « حسرة الروح » عن  
اميرة الجن التي البت عليها قبائل الجن بعصيانها . فقد مستها  
روح ليست من عبقر ، فثارت على روحانيتها ، متمنية ان تصير بشرا  
كي يتسنى لها ان تحب وتشبع شهواتها . وتتجلى مأساة الجنية في  
المقطع الاخير من نشيدها حيث تقول :

ما نفع روح خالد عشت فيه  
ما زلت لم احضن ولا احتضن  
يا حامل الجسم الا اعطنييه  
وخذ اذا شئت خلودي ثمن

(A) عبقر ، ص : 155 - 156 .

(9) م . ن . ص : 162 .

(10) م . ن . ص : 163 .

وسار راعيا

رايته المشرع

فسار خلفه

اخوته الاربعة (١٩)

فبين شفيق الملعوف بذلك ، ان الكلب هو منطلق جميع الشروح  
واساسها .

وفي النشيد السادس : « الهوجل والهوبر » (٢٠) يلتقي الشاعر  
هذين الشيطانين فيقول ان الاول شرير والثاني صالح . ويروي انه  
شاهد الهوجل يمشي الى شجرة مثمرة ، ما زالت معظم ثمارها فجة  
خضراء ، فتلتقي عينه ثمرة ناضجة على غصن مثقل بالثمر الفج ،  
فيكسر الغصن باكملة كسي يلتقط الثمرة الناضجة . فياكلها بنهم  
ويصق نواتها بفضب ، ثم يقول :

فلم اعتم ان ارى الهوبرا

يلتقط النواة مستبشرا

وينحني كأنه في صلاة

فينبش الثمري

ويزرع النسوة (٢١)

فالهوجل يكره جميع نواظر الحياة ويحاول القضاء عليها .  
والهوبر يزرع النواة ليخلق حياة جديدة . وقد استمار الملعوف صورة  
الثمار والاشجار للايحاء الشعري ، فاصبح هوجل الذي يفسد الايحاء  
صورة للموت والدمار ، واصبح هوبر ، الذي يحسن الايحاء مصدرا  
للحياة . وكان الملعوف هنا يعادل بين الشعر والحياة .

وفي النشيد السابع : « حلم هراء » (٢٢) يروي شفيق الملعوف  
رؤيا امية بن ابي الصلت ، فيقول ان هراء هو من انزل هذا  
الحلم المزعج عليه ، ويقول هراء ان امية احس بقلب نبي بين جنبيه  
فلظن انه موحى اليه من الله ، فجاهد هراء في الحلم وانزل طيرا  
شق صدره ووضع له قلبه اصمام عينيه . فرأى امية انه ينطوي على  
الحقد والشر والكبرياء ، ولم يجد للفضائل فيه اثر . فلم انه  
انسان شرير لا يختلف عن غيره فتخلى عن نبوته . يقول الملعوف في  
نهاية النشيد :

وامال مفلوبا على امره

فكشف الطائر عن صدره

حتى اذا امية اصحى

فلم يجد دما ولا جرحا

امية وغسل في مضجعه

وارجع القلب الى موضعه

الوى بكفيه على جنبه

لكن احس الجرح في قلبه (٢٤)

يستلهم شفيق الملعوف كتاب الاغانى في هذا النشيد . ولكن  
الرواية التي اوردها الاصهاني كانت اكثر ايجازا وتكثيفا واعظم

(١٩) م . ن . ص : ٢١١ .

(٢٠) يقول في المقدمة « للشمر شيطانان هما الهوبر والهوجل  
فالاول يحسن الايحاء والاخر يفسده » .

(٢١) م . ن . ص : ٢١٩ .

(٢٢) « زعموا ان هراء شيطان موكل ببيع الاحلام » .

(٢٣) شاعر جاهلي بلغ الاسلام ولم يسلم . كان في جاهليته  
موحدا ، واراد ان يكون نبيا فياتي بدين يدعو الى التوحيد .  
الاصهاني . الاغانى ( بيروت ، ١٩٦٢ ) ، ج ٤ ، ص : ١٢٦ - ١٢٤ .  
يورد الملعوف في مقدمة هذا النشيد رواية من الاغانى جاء فيها :  
« نام امية بن ابي الصلت فانشق جانب من السقف في البيت ، واذا  
بطائر في قد وقع احداهما على صدره ، ووقف الاخر مكانه . فشق الواقع  
صدره فاخرج قلبه فشقه فقال الطائر الواقف للطائر الذي على صدره :  
اوهي ؟ قال : وهى . قال : اتبيل ؟ قال : ابسي قال ، فرد قلبه في  
موضعه » .

(٢٤) عبقر ، ص : ٢٢٠ .

عوده الى نظرة بدائية لا تأخذ بالفروقات الجزئية . والعرب، كما  
يصورها شفيق الملعوف ، لامة قلدة لا ينتشر فيها سوى ثبر :  
شيطان يسخر من الجانب الذي يظن نفسه منتصرا فيخلع القيود  
من ارجل الموتى المهزومين ويزين بها رؤوس الغزاة « المنتصرين » .  
وتبرز المهزلة : ليس التاج سوى قيود انتقل من قدمي هذا السى  
راس ذلك .

يلتقي الشاعر ثاني ابناء ابليس ، داسم ، ابليس النقائص، الذي  
يقول انه يضع النقائص في نفوس البشر ويكسوها حلا براءة :

وانقلب العناد

بين الورى حزنا

وصار الاستناد

في حرفهم زما

واصبح الجشع

اسمى مزايا السروح

لما ارتدى الطمع

مسلبس الطموح (١٦)

يسرى الملعوف هنا ان كل مزية تخفي وراءها نقيصة . فليس  
الحزم في حقيقته سوى عناد ، والعزم سوى استبداد ، والطموح سوى  
طمع وجشع . ولم يستطع الملعوف ، على ما يبدو لى ، ان يجسد  
فكرته هذه بالصورة الحسية فجاءت ذهنية مجردة ، لا تفرق عن النثر  
العادي سوى بالوزن والقافية .

ثم يلتقي الشاعر ، امور ، ابليس الشهوة الذي يقول انه يشعل  
النار في ميني العاشق ودهه ويقوده الى الهلاك والدمار :

فليحس اهل الفجور

كاسي انما الفريقت

فان تكن من نسور

فخبرني كبريست

وليخذل الناس الى وهبي

فهو الذي يحيى

وهو الذي يميت (١٧)

يقدم امور الخمر كبريتا ، يورث الاحتراق والموت بديل الفرح  
والنشوة . وتنتهي لحظات الحياة الكثفة بموت سريع .  
ويظهر زلتبور شيطان المال ، يختال بين السنة النيران التراقصة  
على رنين الذهب فهتت خواصر الحور راقصة . يقول :

فهو اذا ما نصب

ميزانه في يديه

تنشب حرب الذهب

والسروح في كفتيه

فكفة جوفاء مملوءة من ذهب وكفة خالية  
شدت بها الارواح نحو الملى فرجحت بالذهب الثانية (١٨)

ينصب زلتبور ميزانه ويضع الذهب في احدى كفتيه والروح في  
الكفة الثانية . فترجح الكفة التي تحمل الذهب تهزم الروح امام  
افراد المادة الذي يزرعه ابليس في قلوب البشر .

واخيرا يلتقي الشاعر مسوط ، ابليس الكلب ، ويخبره شيطانه  
ان ابناء ابليس لا يخرجون الى ارض بني البشر الا اذا ركب مسوط  
قدامهم يرفع بند الكلب . يقول :

(١٦) م . ن . ص : ١٩٧ .

(١٧) م . ن . ص : ٢٠٢ .

(١٨) م . ن . ص : ٢٠٧ .

ما زال للقضاء فوقني يسد  
فليس بي من حاجة للدين (٢٩)

ويقول :

ان لم تك الصنآن فياصحتين  
كلناهما بحكمة مشرقة  
هيهات تستثير عينن بعين  
ان لم تكن احداهما مفلقة (٣٠)

ونلاحظ ان هذا النشيد ليس سوى مجموعة من الحكمم  
والنصائح الساذجة ، وليس سوى تبرير للصورة التي ذكرت في  
المصادر لشق وسطيح . وليس الشعر مجالا للتبرير والشرح ، كما  
انه ليس مجالا للنصائح والحكم . وهذا ما لم يستطع شفيق المفلوق  
ان يدرکه على ما يبدو .

وفي النشيد التاسع : « ثورة البغايا » يلتقي الشاعر حوريات  
عاريات في عبقر ، فيحاولن اغراءه ببياض اجسادهن . ويخبره  
شيطانه ان الله القى بنات الهوى الى النار ، وسامهن الخسف  
والهوان فثرن في الجحيم ، وحاولن اغراء سكان عبقر . يستمع الشاعر  
الى نشيد البغايا اللواتي يلمن الله على فجورهن لانه خلقهن ذوات  
شهوة جائمة . ويررن الفجور بطاعة الله ، لان انقيادهن خلف شهواتهن  
تحقيق لرغبة الله في ما خلق . وتثور الحوريات على الله الذي  
جعل العذاب جزاء الاستسلام للملذات ، فيقلن :

ثرنا عليه حينما سامنا  
عسفا فلم نصبر على عسفه  
قد حشد اللذات قدامنا  
وجيش العذاب من خلفه  
افتى بان تقوم في ربقتنا  
بجزية العسد الى ربه  
هو الذي اذنب في خلقنا  
وراح يجزينا على ذنبه .. (٣١)

وفي النشيد العاشر : « العنقاء » يصف المفلوق الطائر الخرافي  
الضخم الذي اسماه العرب بالعنقاء ، ويجعل الرخ والفينق فرخيه ،  
ويصفهما بالعظمة والقوة . ويتحدث عن معركة الفينق فيصفا احتراقه  
بنار الشمس وعودته بالموت الى الحياة . ويختتم النشيد بقوله :  
ما عجب لفينق موقد - لنفسه النار على المحرقة  
ولا لرخ راسه في العلي - ورجله على الثرى موقده  
ولا لعنقاء وقد امضت - في نومها الدهري مستقره  
بل لطيور مثلها ضخمة - اوكارها الجماجم الضيقه (٣٢)  
ماذا لقم شفيق المفلوق في هذا النشيد ؟ لقد نظم ما جاء في  
المصادر حول هذه الطيور الثلاثة (٣٣) ، ولم يستطع ان يربط الصور

- (٢٨) م . ن . ص : ٢٤٠ .  
(٢٩) م . ن . ص : ٢٤٢ .  
(٣٠) م . ن . ص : ٢٤٣ .  
(٣١) م . ن . ص : ٢٥٧ .  
(٣٢) م . ن . ص : ٢٦٩ .

(٣٣) جاء في مقدمة النشيد الماشر : « العنقاء طائر خرافي عظيم  
مروف الاسم مجهول الجسم » . و« كان الرخ طائرا عظيم الخلفة متي  
طار فطى عين الشمس فخفيت واظلم الجو » . وفي الاساطير اليونانية  
ان الفينق طائر خرافي يقطن في الصحاري العربية ويعمر اجيالا  
كثيرة . وكان يحرق نفسه هيبا ثم ينبعث من نفس وماده » .

ايحاء مما نطقه المفلوق . فالاصبهاني لم يفسر دوايته ولم يختتمها  
بحكمة مجردة - كما فعل المفلوق - فجاءت غنية بالاحتمالات .  
وتوحي رواية الاصبهاني بان امية في لا وعيه - في الحلم - يرفض  
النبوة ، مع انه واعيا كان يتمنى لو كان نبيا . وهو يرفضها  
دون سبب يمكن تعليقه او شرحه . وقد اساء المفلوق تعليلا للنبوة  
حين خلى امية يرفضها لانه شريبر . فالنبوة لا تقبل او ترفض  
لاسباب ، بل هي وحي يشتغل في قلب ولد نبيا . وقد كان للحوار  
بين الطائرين في رواية الاصبهاني تأثير كبير افتقدته رواية  
المفلوق الذي وجود الطائر الثاني ونقل الحوار بين امية وهراء .

يلتقي الشاعر كاهني عبقر : شق وسطيح في النشيد  
الثامن : « حكمة الكهان » (٢٥) ويصف الشاعر كلا من الكاهنين ،  
ويقول انهما يمدان الله لانه خلقهما على هذه الصورة . استل الله  
المظام من باطن سطيح وملا الفراغ من حكمته ، وسلخ النصف الشرير  
من شق وابقى على النصف الخير . ويطلب الشاعر النصيحة من  
الكاهنين ، فيقول :

يا كاهني عبقر هل حكمة اعدها للفد بين العدد  
ارسلها فوق رؤوس الوري منشورة على غمام الجلد  
يلقني موج التقادير او اكتبها بالنار فوق الزبد (٢٦)  
فيلقي اليه سطيح بسيل من النصائح والحكم لا تحتاج  
- لسداجتها - الى جني ان ياتي بها . يقول مثلا :

تغيب في الافق طيوف الرياح  
متهطيات صهوات السحب  
ويغيب الليل شروق الصباح  
ويغلف الشمس طلوع الشهب  
وكل من في الارض من اغبياء  
يجرون كالعريان خلف القدر (٢٧)

لم يستطع سطيح ان يكشف للشاعر حقيقة غائمة ، او ان يفتح  
له دربا جديدة . فلا بد ان الشاعر كان يعرف - كما يعرف قراؤه -  
ان الليل والنهار يتعاقبان وان الاغبياء صيد للقدر . ولم تختلف من  
هذه نصيحة سطيح للشاعر بالابتسام :

على في ابتسامة هازئة  
تفلي بالسخرية الموجمة  
اواجه النسائم الهادئة  
بها كما اواجه الزوبعة  
يا واقف العمر على حكمة  
مركودة كالغيم خلف الجباه  
الحكمة الحكمة في بسمة  
تمضض الهزم بها في الشفاء (٢٨)

ثم يتحدث الكهان شق ، فيبرر فرحه بخلقه على هذه الصورة ،  
فيقول مثلا :

ما ضرني والواحد السرمد  
لم يحب جسمي بيدين اثنتين

(٢٥) يقول المفلوق في مقدمة النشيد « سطيح وشق كاهنسان  
اولهما كان لهما بلا عظام والاخر شق انسان له يد واحدة ورجل  
واحدة وعين واحدة » .  
(٢٦) م . ن . ص : ٢٢٦ .  
(٢٧) م . ن . ص : ٢٢٨ .

أناهيد (٢٧) . يقول ان أناهيد كانت امرأة بغيا عشقت فارسا مر بها ،  
وامضى معها ثلاثة أيام ، ثم رحل عنها فحاولت اللحاق به فلم  
تبلغه . فظهر لها الإله هبل الأكبر وقال لها :

هذا عقاب العسر فليعتبر ان ذاق طعم الحبمن يفجر (٢٨)

وطلبت من هبل الفران فرق قلبه وقال لها :

حبك يا هذي كما شئت قلب السماوات به أجدر (٢٩)

وحولها هبل الى نجمة في السماء . ولا يفعل المألوف هنا سوى  
ان ينظم ما جاء عند الجاحظ ، فيحوله الى قصة مبررا سبب صرخ  
أناهيد نجما .

والأسطورة الثالثة التي يرويها خرافة للشاعر هي أسطورة  
لقمان (٤٠) . يقول ان هبل طلب من لقمان ان يتمنى امرأ فيعطيه إياه .  
فسأل أقصى عمر يعطى لإنسان . فهدحه هبل مدى أعمار سبعة نسور .  
وانقضت أعمار النسور الستة ، وبقي الأخير فسماه لقمان لبد ،  
ليكون كالدهر أزليا . وينهض لقمان ذات يوم منهوك القوى ،  
فينظر النسر طريحا ، فيصيح به ان ينهض . فيحاول النسر ولا  
يستطيع . ويهوي من عل ويفارق الحياة ، فيتوفى لقمان . وينتهي  
المألوف للشيد بقوله :

لا غسرو ان ختم  
طريقه العابسر  
فهو له قدم  
وهي لها اخر (٤١)

وفي الشيد الثاني عشر والأخير «المقريون» ، يرى الشاعر  
أكوا من الرفات فيخبره شيطانه ان هذه رفات الشعراء يحملها  
شياطينهم الى عقر . ويتأثر الشاعر للمنظر فيتساءل لماذا يأتي  
الموت كلما رأى نفوسا سعيدة ؟ وهل الموت نهاية ؟ فيسمع صوتا  
منبثقا من بين الرفات ، يقول ان جسد الشاعر يهوت ويظل حلمه  
حيا في أحلام الناس :

تا لله لا الاصنام  
تهز مننا العظام  
تلاشت الاوهام  
واهلها ماتوا (٤٢)

ولكن ما يهز رفاتهم - كما يقولون - هو الحب :  
ذاك هو الحب لصيق الثرى

ما لجناحي عزمه نهض

(٢٧) يقول في المقدمة عن الجاحظ « جعل العرب الزهرة امرأة  
بغيا مسخت نجما وكان اسمها أناهيد » .

(٢٨) م . ن . ص : ٢٨٨ .

(٢٩) م . ن . ص : ٢٨٩ .

(٤٠) جاء في مقدمة هذا المقطع « وكان لقمان فيمن رآسته عاد  
على وفدها الى مكة فجاءه نداء من السماء ان سل ما شئت فتعطي  
ما سألت . فسأل عمر سبعة أسر فاعطي ذلك . وكان فرخ النسر يعيش  
خمسائة سنة فاذا مات أخذ آخر مكانه حتى هلكت كلها الا لسابع  
سماه لبد ، ولبد بلسانهم الدهر » .

(٤١) م . ن . ص : ٢٠٤ .

(٤٢) م . ن . ص : ٢١٨ .

التي جاء بها بمدلولات تخرج بها من محدوديتها الى حقائق مطلقة  
تكسبها عمقا وغنى، فلم تعد الصورة تحمل إبعاءات متعددة بل اقتصرت  
على مدلولها المباشر . ويعود المألوف في المقطع الأخير من الشيد  
الى اسداء الحكم فيقول انه لا يجب لجميع ما في الأساطير من  
خوارق ، لكنه يجب لان الناس ذوي العقول الصغيرة ، او الجمالجم  
الضيقة - كما يسميهم - يصدقون هذه الأساطير . ويبدو ان عجب  
المألوف ناتج عن سوء فهم لطبيعة هذه الأساطير . فهو يأخذ  
بمعناها الحرفي فلا يصدقها بمدلولاتها المباشرة ، ويخفق في ان  
يرى فيها رموزا تتجاوز المعاني الضيقة الى حقائق إنسانية مطلقة،  
فيصبح موت الفيق وانعامه ، مثلا ، تصيرا عن رغبة دفينية داخل  
النفس الإنسانية تسعى الى الخلود فتؤمن بالإنعام بعدالموت وتبر  
منه أسطورة فتغدو الأسطورة تحقيقا في عالم الخيال والفن لما عجز  
الإنسان عن تحقيقه في عالمه اليومي ، وتكون تعويضا عما فاته في  
الواقع لان الفن لا يعود اقل صدقا من حقائق الحياة اليومية ، ان  
لم يكن أكثر صدقا منها .

وفي الشيد الحادي عشر : « احاديث خرافة » (٢٤) يروي خرافة  
للشاعر ثلاث أساطير من الجزيرة العربية . الاولى أسطورة نصر بن  
دهيمان الذي عاد شابا بعد ان شاخ ، فهدا بياض شعره سوادا،  
ونبتت اسنانه . ويقول ان جنيسة هي الشعرى الفميصاء (٢٥) ظهرت  
له في منامه ، واعادت اليه الشباب :

سألتها من انت قالت أنا  
أنا الفميصاء أنا الشعرى  
أختي اليمانية اخلت يدي  
وعبرت للصفة الأخرى  
والجن بعدي التقطت ادمي  
ونظمت عقودها الحمرا (٢٦)

يجمع شفيق المألوف بين أسطورتين في هذا المقطع من الشيد:  
أسطورة نصر واسطورة الشعرى . والجمع بين عدة أساطير ، تكنيك  
شعري جيد ، لانه يعني كلا الأسطورتين ، فينتج عن تفاعلها مدلولات  
جديدة لا تحملها اي من الأسطورتين منفردة . من هنا يطرح  
السؤال : ماذا أفاد المألوف من الجمع بين هاتين الأسطورتين؟ يبدو  
لي ان الجمع بين أسطورتين نصر والشعرى لم يخلق جديدا ، لان  
الأسطورتين لم تتفاعلا وان تجاوزتا . اذ لم يكن الجمع بين هاتين  
الأسطورتين امرا حتميا . بل كان يمكن للمألوف ان يأتي بأجنيسة  
أخرى - كانهيد ، مثلا ، التي يتحدث عنها في الشيد نفسه - دون  
ان يؤثر ذلك على بناء القصيدة . وليس ذكر الشاعر لقصة الفميصاء  
مع اختها سوى حديث نافل لا يرتبط ارتباطا حتميا ببناء المقطع  
الشعري . من هنالك يفعل المألوف شيئا سوى ان كدس مجموعة من  
الأساطير ، ولا اظن انه كان يقصد الى أكثر من ذلك . وليس هذا -  
على ما أعلم - من اهداف الشعر .

والأسطورة الثانية التي يرويها خرافة للشاعر هي أسطورة

(٢٤) يقول في مقدمة الشيد « كان خرافة رجلا من عذرة زعموا  
ان الجن استهوته فلبث فيهم زمانا ثم لما رجع اخبر بما رأى منهم  
فكذبوه » .

(٢٥) يقول في مقدمة الشيد : « كانت الشعرى اليمانية مع  
الشعري الشامية ففارقتهما وعبرت الحجر فسميت الشعرى العبور .  
فلما رأت الشعرى الشامية فراقها اياها بكت عليها حتى غمضت  
عينها فسميت الشعرى الفميصاء » .

(٢٦) م . ن . ص : ٢٧٨ .

عشر فوضعوا الاسس التي قامت عليها الدراسات الاسطورية النقدية حتى يومنا هذا . وقد ذكرت في بداية هذا البحث ما قاله هررد حول استخدام الاسطورة في الشعر من حيث ارتباطها عضويًا بالقصيدة ليس على سبيل جهد واع لملء فراغ ، لان الاسطورة في الشعر ليست مجرد بناء قصصي بل هي حياة القصيدة (٤٥) .

من هنا طرح السؤال : كيف افاد شفيق المولف من الاسطورة في عبقر ؟ انطلق للاجابة عن هذا السؤال بسؤال آخر : الى ما يهدف المولف في استخدامه الاسطورة في شعره ؟ يقول المولف في مقدمة عبقر :

فاساطيرنا العربية ، لم يصلنا منها غير القليل ، وهو على قلته مشوهٌ مبتور ، ولكنه لا يخلو من مغاز فامضة ، وجب علينا سير اعماقها وارجاعها الى اصولها وشرح رموزها . وهذا ما عملناه في شعر عبقر ، فالاساطير التي لا ترمز الى فكرة خلقنا لها الفكرة التي نخالها صالحة لها ، وما كان منها ذا رمز جلونا رموزه وتبسطنها في تصوير دراميه .

وبعد ان طبعنا (عبقر) بست (كسدا) اناشيد عام ١٩٣٦ اجتمع لنا من المادة ما اعاننا على زيادات جديدة كلها اسطورية بحتة ، فجننا اليوم ونطرحها بين ايدي القراء في اثني عشر نشيداً . (٤٦) يتضح مما تقدم ان شفيق المولف كان يهدف الى تعريف قرائه بالاساطير العربية التي جاء - ما وصل اليها منها - مشوهاً مبتورا . ويشير المولف الى انه يجب عليه ان يسير اعماق هذه الاساطير ويرجعها الى اصولها ويشرح رموزها ، وكأنه يقصد الى كتابت دراسة منظومة حول الاساطير العربية . وتتوفر له مواد جديدة فيصيف اناشيد سنة جديدة فينفي امكان ولادة القصيدة ولادة عضوية ، ويغدو الشعر صناعة . اي ان شفيق المولف كان يؤلف وايضا مع ان الشعر الاسطوري رؤيا تتخطى الوعي ، يتركها الشاعر بحدسه فتاتي صورة رمزية عينية مطلقة . فالشعر ليس مجموعة سواد تتوفر للشاعر فينظمها ، وكلما حصل على مادة جديدة اضافها ، بل هو اشراق تفرض فيه الرموز ذاتها على الشاعر ، فتولد الصورة الرمز ولا تصنع . بيروت

Encyclopaedia of Poetry , P. 541 . (٤٥)

يقول فيليب ويلرايت في مقاله « الاسطورة » ان ما يقوله هررد يعرفه كل شاعر مجيد . (٤٦) عبقر ، ص : ١٠ - ١١ .

خصوصاً به الجنة وهو الذي مضجه القناد والقض والحب في الجنة ما شانه ولا اذى فيها ولا بفض القوة للنار وان ارمضت وليتلفه شواظ اللظى فالارض ان كانت جعيما له وكان فيها نهنا الارض (٤٣)

ينهي شفيق المولف كتاب عبقر بنشيد بمجد فيه الحب . فيقول ان الجحيم بحاجة الى الحب اكثر مما هي الجنة ، لانه يحول الجحيم هناء ، ويحرك رفات الاموات . ولكن المولف لم يستطع ان يرى في الاصنام سوى اوهام ، وفاته ان الصنم تجسيد عيني لحقيقة مطلقة ، كامنة في اللاوعي الانساني . وهي اكثر صدقا من الحقيقة العلمية ، لانها رمز ، والرمز تجسيد لحقيقة نفسية مطلقة . كما فات المولف التفريق بين الاسطورة والخرافة ، لانه لم يدرك اهمية الرمز . فالقصة التي تظهر وكأنها غير واقعية لانها تروي احداثا غير عادية ، وغير «الوفية» ليست بالضرورة خرافة . فهي اسطورة تحمل مدلولات مطلقة وتعتبر عن الحقيقة الكلية اذا عالجهما الدارس بنظرة رمزية تكشف الابعاد التي تحملها . ولكن من يتجاهل التفسير الرمزي فلا يرى سوى العادلة الخارقة منقطعة عن اي معنى غير مباشر ، يظن ان الاسطورة خرافة مضي زمان تصديقها بعد ان انتهر المنطق العلمي في الانسان .

ولكن ظاهرة هامة تؤكد وجودها في هذا العصر ، وهي ان الانسان عاد - وبحماس كبير - الى الاسطورة وعندها محذور الادب . وليس الادب الاسطوري الحديث منقطعا عن الواقع يعيش في عالم غيبي خاص به ، بل هو كما يراه النقاد الاسطوريون - وبخاصة نورثروب فراي - شرع هذا المهذب النقدي - قمة الالتزام الاجتماعي والانساني (٤٤) . وهذا ما قرره النقاد الرومنطيقون الالمان منذ مطلع القرن التاسع

(٤٣) م . ن . ص : ٣٢٠ - ٣٢١ .

Northrop Frye , Anatomy of Criticism ( Princeton , (٤٤) 1957 ) , P . 99 .

## دراسات ادبية

### من منشورات دار الآداب

د . زكي مبارك	بين آدم وحواء	د . طه حسين	مذكرات طه حسين
د . جلال الخياط	التكسب بالشعر	» »	من ادبنا المصائر
سامي خشبة	شخصيات من ادب المقاومة	خليل الهنداوي	مجدد رسالة الفران
فرائس جاثون	سيمون دو بوار أو مشروع الحياة	رئيف خوري	الادب المسؤول
لدلولويه	كامو والثمر	رجاء النقاش	اصواته غاضبة في الادب والنقد
ا . ا . هولشنر	بابا همنفواي	صلاح عبدالصبور	وتبقى الكلمة